أطفالنا
فى رحاب
القرآن
الكريم

٥٢

آيات وقصة

المسلمون فى ساعة العسرة

رزق هيبه



أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
٥٢

المسلمون فى ساعة العُسرة

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة.. وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتابِ اللَّه «القرآنِ الكريم» تعرضُ القصصَ على حسَبِ ترتيبِ المصْحَفِ لتكوِّنَ فى النهايةِ «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إِلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيَهُمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعةِ الجَديدَةِ حَرصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ.. الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئِلَةٍ تَحْفِزُ القَارِئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذهْنِه، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرْجُوهَا من نشْر هذهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعد اللغَة العربيَّة «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارِئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَة السِّلْسلة إِلَى آخرِهَا يَصيرُ عَلَى علْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعدِ النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ..

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَة نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدةٍ مزدوَجَةٍ، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغى أنْ نربى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنائنَا القَادمة.. فنستعيدَ مجدَ الماضى عَلَى أسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ.. ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].



بسم الله الرحمن الرحيم
لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة]

معانى الكلمات:

(١١٧) **تاب** : تاب العبدُ عن المعصية، اعترفَ بها، ونَدمَ علَى فعلِها، وعَزمَ علَى ألا يَعودَ إلِيْهَا، فهوَ تائبٌ وتوَّابٌ. وتابَ اللَّهُ علَى عبده وفَّقَهُ للتَّوبة، وقدْ وصفَ اللَّهُ سبحانَهُ وتعَالى نفْسهُ فى القرآنِ الكريم: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴿٣﴾ ﴾ [النصر].

سَاعَةُ العُسْرَةِ: ساعَةُ الشدةِ والضِّيقِ.

يَزِيغُ : يَميلُ عَنِ الحقِّ وينحرفُ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِىِّ.

(١١٨) **خُلِّفُوا** : تخلَّفوا عَنِ الجيْشِ فِى غَزْوَةِ تَبُوك.

ضَاقَتْ عليهِمْ الأرْضُ بما رحُبَتْ: نَدِمُوا عَلَى تخلُّفِهِمْ وقَاطعهمُ المسْلمُونَ ولم يجدُوا منْ يقبَلُ عذرَهُمْ.. حتى أصبحت الأرض على سعتها ضيقة لا يجدون لأنفسهم فيها مكانًا.

مَلْجأُ: الحصْنُ الَّذِى يتقوَّى بِهِ الإِنسَانُ فى ساعَةِ الشدة والمكانُ الَّذِى يأوِى إِليْهِ فى الخطر.

(١)

جَلستْ أسرتُنَا المسلِمةُ كالعَادةِ لتقضىَ ليْلَةً منْ لياليهَا الإيمَانيَّة، الوالدُ يقصُّ علَى الأبْناءِ مِنْ قِصصِ القرآنِ وسِيرَةِ النَّبىِّ ﷺ ومآثرِ السَّلفِ الصَّالحِ، والأُسرَةُ تسمَعُ فى إنصَاتٍ واعٍ لما يقصُّهُ الوالِدُ عازِمينَ علَى أنْ يَجعَلُوا منْهُ مَثَلاً أعْلَى فى سُلوكهمْ وتعامِلهمْ معَ الآخَرِينَ، واحْتكاكِهمْ بالنَّاسِ فِى حيَاتهمُ اليوميَّةِ.

وبَعْد صَلاةِ العِشَاءِ وختامِهَا بالدعَواتِ الَّتِى ترجُو القبولَ مِنَ اللَّهِ قَالَ الوَالِدُ:

– موعدُنَا الليلَة معَ يومٍ منْ أيامِ الإسْلامِ سمَّاهُ القرآنُ الكريمُ «ساعَة العُسْرةِ»، واسمهُ فى السِّيرةِ النبويَّة «يومُ تبوكَ». وتبوكُ هذه مدينةٌ بينَ دمشْقَ والمدينةِ المنوَّرةِ كانتْ فى آخرِ حُدودِ الدَّولةِ الإسْلاميةِ فى عَهدِ النبىِّ ﷺ. وقد عَلِمَ النَّبىُّ ﷺ أنَّ نَصارَى العَربَ قَدْ اجْتَمعُوا واتَّفقُوا مَعَ جنْدِ الرُّومِ علَى محارَبَتِهِ وكوَّنُوا لذلكَ جيشًا عظيمًا، ظنُّوا أنَّهمْ يقدِرُونَ أنْ يزلزِلُوا بهِ أركانَ الدَّولةِ الإسْلاميَّةِ الَّتِى أسَّسَها النبىُّ ﷺ، وجعَلَ عاصمَتَها المدينَةَ المنورَةَ ومضَى تسعُ سنينَ بعدَ هجرتهِ ﷺ، انْتصَر فيها عَلَى المشركينَ فى غزْوَةِ بَدْرٍ، وأحُدٍ، والأحزابِ، وطهَّرَ المدينَةَ وما حولَها من اليَهُودِ، وفتح مكَّةَ، والْتقَى معَ بقايَا المشرِكينَ فِى غزوَةِ حُنينٍ، كلُّ هذَا

أغَـاظَ حـكامَ دولَةِ الـرُّوم الَّتِى كـانَتْ تملكُ نصفَ العـالَمِ فِى ذَلِكَ الـوقْتِ وتـهـيمنُ على كثيرٍ من دُولِ الأرضِ فِى الشَّرقِ والغَربِ، فعزَمَ رؤساءُ دولةِ الرُّومِ على حَرْبِ المسْلِمينَ وساعدَهُم علَى ذَلِكَ بقيَّةُ النَّصارَى الَّذِينَ كَانُوا لا يَزَالُونَ فِى الجزِيرَةِ العربيَّةِ.

قالَ أشْرَفُ: إِذَنْ فقدْ كانَ جيشًا كبيرًا ذَلِكَ الَّذِى يُرِيدُ الزَّحفَ علَى المدِينةِ المنوَّرةِ، ودولةُ الإِسْلامِ لا تزالُ فى السنواتِ العشْرِ الأولَى من عمرِهَا بقيادَةِ النبىِّ ﷺ.

قَالَ الوَالِدُ: نعمْ، لقدْ كانَ جيشًا جرَّارًا، وكانَ الوقتُ أيْضًا لا يشجِّعُ النَّاسَ علَى الخروجِ للحرْبِ، فهوَ زمنُ عسْرةٍ وشدَّةٍ وضِيقٍ، وحرٍّ كأنه لهيبُ النَّارِ، وجـدْبٍ فى البِلادِ، وقحطٍ شديدٍ، وقدْ بدأت الثِّمارُ تظهَرُ فوقَ الأشْجارِ ممَّا يُغرِى أى إِنسانٍ بأنْ يفضِّلَ البقَاءَ فِى بيتِهِ، أوْ فى ظلِّ حديقتِهِ علَى أنْ يخرُجَ ولوْ لعدَّةِ أمتَارٍ بعيدًا عَن المدِينَةِ.

قَالَ أيمَنُ: ومَاذَا فَعَلَ النبىُّ ﷺ فى هَذِهِ الظُّروفِ؟

قَالَ الوَالِدُ: لقدْ رأى النبىُّ ﷺ أنَّ الهجومَ هوَ أفضَلُ وسيلةٍ للدفَاعِ، وأنَّهُ ينْبَغِى أنْ يخرجَ بجيشِ المسلمينَ للقَاءِ الأعدَاءِ ومُواجَهَتِهِمْ وهمْ لا يزَالُونَ بعيدًا عن حُدودِ الدَّولةِ الإِسْلاميَّةِ، فأمرَ أصحَابَهُ بالتهيُّؤِ للغَزْوِ، وكانَ من عادَتِهِ إِذَا خرجَ لغزوَةٍ أنْ يجعَلَ أمرَهَا سرًّا، ويخبرَ أصحابَهُ أنَّهُ

يريدُ وجهةً غيرَ التى هُو متجهٌ إِليْهَا فِى الحَقِيقَةِ، لكىْ يكونَ الأمرُ مفاجَأةً للأعداءِ ومبَاغَتَةً لهمْ، إلا غزوةَ تبوكَ فقدْ حدَّثَ النبىُّ ﷺ أصْحابَهُ بصَرَاحَةٍ وعرَّفَهمْ الوِجْهةَ الَّتِى سيتجهُونَ إِليْهَا، لأنَّه عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ يَعرِفُ الشدَّةَ الَّتِى كانَ النَّاسُ يعيشُونَهَا فِى ذَلِكَ الحِين، والمسافَةَ البعيدَةَ الَّتِى سَيسيرُونَهَا، وكثرةَ العدوِّ الَّذِى سيلتَقُونَ بِهِ، فصارَحَهُمْ بحقيقَةِ الأمرِ ليتأهَّبُوا لَهُ بما يَليقُ وبما يقْدرونَ عليْهِ من سلاحٍ وزَادٍ، وما يركبُونَه منْ خيلٍ وإِبلٍ.

لقدْ دعَاهمْ إِلَى الجهادِ، وأذَّن فيهمْ بالنفيرِ العَامِّ، أو كمَا نقولُ بأسلوبِ عصرِنَا أعلنَ حالةَ الطوارِئ، والتعبئَةَ العَامَّةَ، ودَعَا كلَّ الرجَالِ الَّذينَ يقدرُونَ على حمْل السِّلاحِ أنْ يستعدُّوا للخروجِ للحرْبِ، وتَلا عَلَيْهِمْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .** (٤١) ﴾ [التوبة].

وقالَ لهمْ: مَنِ استطاعَ منكُمُ الإِنْفَاقَ عنْ سعَةٍ وفضْلٍ فلْيُنْفِقْ، ومَنْ استطاعَ أنْ يحملَ غيرَهُ على فَرسٍ أو جَملٍ فلْيحملْ، واعلَمُوا أنَّ وجهَتَنَا غزْوُ الرُّومِ فَلا يتخلَّفْ منكمْ أحَدٌ مَا استْطاعَ إِلَى الجهَادِ سَبِيلاً.

قالتْ إِيمَانُ: وهَل استْجابَ النَّاسُ لنداءِ النَّبِىِّ ﷺ فِى هَذِهِ الظُّروفِ العَسِرَةِ؟

أعد رؤساء دولة جيشاً كبيراً جراراً لمحاربة المسلمين



قالَ الوَالِدُ: لقدْ كان الحال أشبَه بامتحانٍ وضَعَ اللَّهُ فِيهِ المسلِمينَ فِى تلكَ الأيَّامِ، وَفِى الامتحانَاتِ يظهَرُ الصَّادِقُ ممَّنْ هُوَ غيرُ صَادِقٍ، وكانَ مِنَ النَّاسِ المؤمِنُ الشديدُ الإِيمَانِ، ومنهمْ أيضًا المنافِقُونَ الَّذينَ حكيْنَا عنهُمْ فى حكاياتٍ سابقَةٍ، ولنذكرْ أولاً بعضَ صُورِ النِّفَاقِ التى ظهرتْ فى ذلكَ الحينِ، ثم نذكرْ بعدَهَا مواقِفَ المؤمِنينَ المخلِصينَ.

لقدْ أمرَ النَّبىُّ ﷺ النَّاسَ أنْ يتجهَّزُوا، فبدأُوا فى الاستِعدادِ لذلِكَ، وبعْضُهم كارِهُونَ، لأنَّهُم يعرِفُونَ كثرَةَ جيْشِ الرُّومِ، وتثَاقَلَ بعضُ المنافِقينَ وكانَ النبىُّ ﷺ يعرِفُ أمرَ هؤلاءِ المنافِقِينَ تارةً بإِحساسِهِ وشُعُورِهِ نحوَهُمْ وتَارةً بوحىٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يخبرُهُ بِهِ جبرِيلُ عليْه السَّلامُ.

هَذَا واحِدٌ اسمُه الجدُّ بنُ قَيسٍ يَقُولُ له النَّبِىُّ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: هَلْ لَكَ فِى جِلادِ بَنِى الأصْفَرِ؟ يعنِى هَلْ ترغبُ فِى الخروجِ معنَا لحربِ الرُّومِ؟

فيقُولُ الجدُّ بنُ قيْسٍ: يا رسولَ اللَّهِ، أو تَأذنُ لِى وَلا تَفْتِنِّى؟ فَواللَّهِ لقَدْ عرفَ قَومِى أنَّهُ مَا مِنْ رجُلٍ أشدَّ عُجبًا بالنِّسَاءِ مِنِّى، وإِنِّى أخْشَى إِنْ رأيتُ نساءَ بَنِى الأصْفَر ألا أَصْبِرَ.

وَهَكَذَا ظهَرَ نفاقُ الرَّجُلِ، إِنَّه يعتذِرُ للنبىِّ لعدَمِ قدْرتِهِ علَى الخروجِ للحرْبِ، بحجَّةِ أنَّه يخْشَى علَى نفسِهِ أنْ تفتِنَهُ نساءُ الرُّومِ، فأعْرَضَ عنْه رسولُ اللَّهِ وقالَ لَهُ: قَدْ أذِنْتُ لَكَ.

ونَزَلَ وحيُ السَّماءِ ليفْضَحَ أمرَ الجدِّ بن قيسٍ فِى قوله تعالَى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** (٤٩) ﴾ [التوبة].

لقد هَرَبَ من الفتْنَةِ وسقَطَ فِى فتْنَةٍ أشدَّ منْهَا، وإِنَّ جهنَّمَ هِى مصيرُهُ الذِى سيحيطُ بهِ من كُلِّ الجهاتِ.

وكانَ هناكَ جماعَةٌ مِنَ المنافقينَ يقولُ بعضُهُمْ لبَعْضٍ: لا تنْفرُوا فِى الحرِّ، فلسْتُمْ تدرُونَ نتيجَةَ هذهِ المعْركةِ، وهلْ سيعودُ منْهَا المسْلمُونَ سالمينَ أمْ سيهلكُونَ عنْ بكْرَةِ أبيهِمْ فِى أرْضِ الرُّومِ، ويُوحِى اللَّهُ إِلَى رسُولهِ ﷺ آياتٍ تفضحُ أمرَ هؤلاءِ أيضًا: ﴿ **وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** (٨١) **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (٨٢) ﴾ [التوبة].

وجمَاعةٌ أخرَى يجتمعُونَ فِى بَيْتِ يهودِىٍّ اسْمُهُ سُويلم، يثبِّطُونَ النَّاسَ عَنِ الخُروجِ ويوجِّهُونَ إِلَى معصيَةِ الرَّسُولِ، فأرَادَ النبِىُّ أنْ يَقْضِىَ عَلَى فِتنتهُمْ فبعَثَ إِليهِمْ طلحةَ بنَ عُبيدِ اللَّهِ فِى نَفَرٍ منْ أصْحابهِ، وأمرَه أنْ يحرِّقَ عليهم البيْتَ، فخرَّبَ طلحةُ عُشَّ النفَاقِ وحرَّقَ وكرَ المنافقِينَ.

وهَكَذَا كانَ حَالُ المنَافقِينَ ظاهرًا للنبِىِّ ﷺ فلمْ يترُكْ لَهُمْ فرصَةً يلعَبُونَ فِيهَا بِعَواطِفِ المؤْمنينَ ويَصُدُّونَهُمْ عَنِ الجهادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ.

أمَّا المؤْمنونَ فلهمْ حكايَاتٌ أُخْرَى، نذكُرُها بعْد أنْ تمنحنَا إِيمانُ بعضَ المشروباتِ البارِدَةِ الَّتِى تُذْهِبُ عنَّا هذا الحرَّ اللافِحَ فِى ليالِى الصَّيفِ الحارِقِ.



بعث الرسول ﷺ بعض
أصحابه ليحرقوا وكر المنافقين

(٢)

تناوَلَتِ الأُسْرَةُ مشرُوبَاتِها، والْتقَطَ الوالدُ أنفَاسَهُ، ثمَّ اسْتطردَ يَروِى حكايَاتِ المؤْمنينَ الَّذينَ صدَقُوا فِى ساعَةِ العُسْرَةِ. فقَالَ:

أَمَرَ رسُولُ اللَّهِ بالإِسْراعِ فِى الجهَازِ، ورَغَّبَهُمْ فى النَّفقَةِ فِى سبيل اللَّه، كما بعَثَ إِلى مكَّةَ يطلُبُ منْ أهلِهَا أنْ يأتُوا إِليْه برجَالِهِمْ وأموَالِهمْ لغزْوِ الرُّومِ، وبعَثَ إِلَى القَبَائِلِ يطلبُ الإِمدَادَاتِ العاجلَةَ، أرسَلَ إِلَى جُهينَةَ، وسَليمٍ، وكعْبٍ، وأشْجعَ.. وغيرِهِمْ.. فاجتمعَ النَّاسُ بيْن يديْه بالمِئَاتِ، وخَطَبَ فِيهِمْ وأمرهُمْ بالجِهَادِ والصَّبرِ، وأعلمَهُمْ بأنَّ جزاءَهُمْ عندَ اللَّهِ إِحْدَى الحُسنَيَيْنِ: النَّصرُ.. أو الاستِشْهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ والفوزُ بجنَّتِهِ.

وأجَابَ النِّدَاءَ كثيرٌ من المسْلمينَ، وهمْ يعلَمُونَ أنَّ الجهَادَ بالنَّفْس فى سَبِيلِ اللَّهِ هوَ التَّضْحيةُ بالرُّوحِ، وهُوَ دليلُ البطُولةِ والشَّجاعةِ فِى الإِسْلامِ، إِنَّ المؤمنَ يتقدَّمُ الصفُوفَ وهوَ واثقٌ منْ أنَّ جهادَهُ هذَا إِنَّمَا هُوَ فِى سَبِيلِ الحقِّ والحرِّيَّةِ والسَّلامِ، يبيعُ حياتَهُ ليشْتَرِىَ الجنَّةَ حسَبَ وعدِ اللَّهِ تعالَى للمؤْمنينَ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...** (١١١) ﴾ [التوبة] يتقَدَّمُ المسلمُ الَّذى يحبُّ اللَّهَ ورسُولَهُ، ليفدِىَ رسُولَ اللَّه بنفسِهِ، لا يهْتمُّ لشىْءٍ فى هذِهِ الدُّنيَا إِلا بأنْ ينتَصِرَ الإِسْلامُ ويعُودَ النبىُّ ﷺ سالمًا.

والمُسْلِمُونَ يعرِفُونَ أنَّ هذِهِ الغزْوَةَ ستكُونُ أكبرَ غزْوَةٍ غزاهَا النبىُّ ﷺ منذُ تسع سنَواتٍ، فالجيشُ كثِيرٌ، والأسلِحَةُ كثيرَةٌ ولكنَّها ساعَةُ العُسْرَةِ، المالُ فِيهَا قَليلٌ، والسَّفرُ سيكُونُ طويلاً يحتَاجُ إِلَى مُؤنٍ كَثِيرَةٍ، فمِنْ أين يأتِى هذَا المالُ الَّذِى يكْفِى هذَا الجيشَ كلَّهُ.

إِنَّ للإِيمَانِ تحركَاتٍ فِى قَلْبِ المؤْمنِ يدفَعُهُ إِلَى التَّضحِيَةِ بكلِّ غالٍ وثَمينٍ، وها هُمْ أولاءِ المسلِمُونَ يتنَافَسُونَ علَى التبرُّعِ بما يَقْدرُونَ عليْه مِنْ مَالٍ وما يستَطيعُونَ منْ جُهدٍ.. وتقدَّمَ أبُو بكرٍ رَضِىَ اللَّهُ عنْهُ، يتبرعُ بأربَعَةِ آلافِ دِرْهمٍ هِى كُلُّ ما يَملِكُ، ويسْألُه النَّبِىُّ ﷺ: هَلْ أبقَيْتَ لعِيالِكَ شَيْئًا؟

فَيَقُولُ أبو بَكْرٍ: أبقَيْتُ لهمُ اللَّهَ ورسولَهُ.

وهذَا ثَانٍ، إِنَّه عمر بنُ الخطَّابِ رضوانُ اللَّهِ عليْهِ، لا يَعرِفُ إِنْ كانَ أبُو بَكرٍ قدْ تبرَّعَ أمْ لا. ويتقدَّمُ بمقْدَارٍ مِنَ المَالِ يتبرَّعُ بِهِ لجيشِ المسلِمينَ فِى ساعَةِ العُسْرَةِ، ويسْأَلُهُ النَّبِىُّ ﷺ: هل أبقيْتَ شيْئًا؟

فيقولُ عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، هذَا نصفُ مالِى، جئتُ بهِ للَّهِ ورسُولِهِ، وأبْقيتُ النِّصفَ الآخرَ لعيَالِى.

وعَلِمَ عُمَرُ أنَّ أبَا بَكْرٍ قدْ سبَقَهُ بالتبرُّعِ بمالِهِ كُلِّه فقَالَ: مَا اسْتبقْنَا إِلَى خيرٍ إِلا سَبَقَنِى أبُو بكرٍ.

وتَلاهُمَا النَّاسُ يتسابَقُونَ إِلَى التبرعِ بِمَا يجدُونَ: العبَّاسُ بنُ عبدِ المطَّلب يتبرعُ بتسْعينَ ألفَ درهمٍ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوْفٍ، وسعدُ بنُ عبَادَةَ، وغيرُهُمْ، كلُّ واحدٍ منْهُمْ يجيءُ بمالٍ وبعيرٍ وتمرٍ وفضَّةٍ.. إِلَى أنْ جَاءَ عثمانُ بنُ عفَّانَ، لَقدْ تكفَّلَ بثُلث نَفقَات سَبْعين ألْفَ مُقَاتِلٍ، ولقدْ كَانَ هَذَا الثلثُ كافِيًا، فليسَتْ هناكَ حَاجَةٌ إِلَى المزيدِ من النَّفقَات، وكانَ منْ تبرُّعِ عثمان ألفَ دينَارٍ، أخَذَ النبيُّ ﷺ يَقُولُ ويكرِّرُ القوْلَ: مَا ضرَّ عُثمانَ ما فَعَلَ بعدَ هَذَا اليومِ.

قَالَتْ إِيمانُ: لقدْ كانَ لعُثمانَ مواقفُ أخْرَى فِي الإِنفَاقِ فِي سبيلِ اللَّهِ، لا يَزَالُ يذكُرُهَا التَّارِيخُ ويمدحُهُ بسببَهَا.

قَالَ الوَالِدُ: نعمْ.. إِنَّهُمْ أصحابُ رسول اللَّه ﷺ، الَّذينَ قرأُوا القرآنَ وعَملُوا بمَا فيه، وأيْقَنُوا بصدْق قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** (٢) **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ... (٣) ﴾ [الطلاق]، فَقَدْ كَانُوا ينفقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ويرزُقهمُ اللَّهُ مِنْ حيْثُ لا يحتسبُونَ، ولَقَدْ ذكَّرتنِي يا إِيمانُ بمواقفَ عثمانَ بنِ عفانَ الَّتِي لا ينبغِي أنْ نتحدَّثَ عنْه دونَ أنْ نذكُرَهَا. فمثلاً بعدَ أنْ هاجرَ المسْلمُونَ إِلى المدينَةِ المنوَّرةِ كانتْ آبارُ المياهِ يملكُهَا اليهودُ، وبدأُوا يغالُونَ فِي ثمنِ المياه الَّتِي يبيعُونَهَا للمسْلمينَ. وحدَثَ أنْ جفَّت الآبارُ من مياهِهَا وعطشَ النَّاسُ، وأصابَهم همٌّ شَديدٌ بسببِ هذَا الجفَافِ، ولم يكنْ هنَاكَ إِلا بئرٌ واحدَةٌ يملكها أحَدُ اليهود، فسنَحَتْ له الفرصةُ أن يستغلَّ حاجةَ النَّاسِ للماءِ، فأصبَح يطلبُ ثمنًا مرتفعًا لبضاعته التي هِيَ هِبةُ اللَّهِ لخلقِهِ، لا يتعَبُ فِي إِخْراجِهَا ولا ينْفقُ عليْهَا كما ينْفقُ

النَّاسُ علَى أىِّ بضَاعةٍ يعملُونَ فِيهَا، وخطَرَ لعثمانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ ينقذَ المسْلِمينَ من هذَا الاستغْلالِ والاحْتكارِ فعزمَ على شراءِ هذه البئرِ منْ ماله الخاصِّ مهْمَا غلا ثَمنُها، وراحَ يساوِم عليْها اليهودىَّ، واليهودىُّ يراوِغُ ويطلُبُ الكثيرَ من المالِ، وخَطر لعثمانَ رضىَ اللَّهُ عنْه حيلةٌ ظريفَةٌ فعَرَضَ على اليهودِىِّ أنْ يشترِىَ منْه نصفَ البئرِ ويكونَ الماءُ شركَةً بينهمَا هُوَ يبيعُ الماءَ يومًا ويأخُذ ثمنَهُ، واليهودىُّ يبيعُ الماءَ يَوْمًا ويأخُذُ ثمنَهُ، واتفَّقَ الطَّرفَانِ عَلَى ذَلكَ، ولم يَكدْ هذا الاتِّفَاقُ يتمُّ حتَّى أعلنَ عثمانُ أنَّ نصيبَهُ من الماءِ صدقةٌ لوجه اللَّه، لنْ يأخذَ عنْه مقابِلاً، فراح النَّاسُ يأخُذُونَ من الماءِ كفايتهمْ فى اليومِ الَّذى يخصُّ عثمانَ بحيثُ لا يحتاجُونَ إلَى ماءٍ فِى اليوْم التَّالى الَّذى يخصُّ اليهودىَّ، وهُنا - عَلَى رأى المثَلِ - وقعَ اليهودىُّ فى الحفرةِ الَّتى حَفرَها، إذْ وجَدَ نَفْسَهُ لا يبيعُ منَ الماءِ ولا بدرْهَمٍ واحدٍ، فعرضَ علَى عثمانَ رضىَ اللَّهُ عنه أنْ يشترِىَ منْهُ نَصيبَهُ، فاشْترَى عثمانُ بقيةَ بئرِ رومَةَ، وأصبحَتْ خَالصَةً كلُّها سبيلاً لوجْهِ اللَّهِ، يستَقِى منْها النَّاسُ، ويأخُذُونَ ما يشاءُونَ دونَ أنْ يدْفَعُوا ثَمنًا.

قالَ أشرَفُ: أظنُّ أنَّ هذهِ ليستِ الواقعةَ الوحِيدةَ الَّتِى يذكرُهَا التَّارِيخُ لتدلَّ علَى كرمِ عثمانَ وإنفاقه فِى سَبِيلِ اللَّه.

قَالَ الوَالدُ: هَذَا حقٌّ فعثمانُ رضِىَ اللَّهُ عنْهُ كانَ كريمًا ينفقُ فِى سَبيلِ اللَّهِ ولا يَخْشَى الفَقْرَ، وهنَاك واقعَةٌ لا ينسَاهَا التَّارِيخُ، ويذكرُهَا بكلِّ افتخارٍ لعثمانَ بنِ عفانَ كمثلٍ أعْلَى للمسلمِ الَّذى يهتَمُّ بأمورِ المسْلمينَ، إذْ حدَثَتْ مجاعَةٌ فِى عهْدِ أبِى بَكْرٍ الصِّدِيقِ، وأصْبَحَ النَّاسُ فِى المدينَةِ

وقف اليهودى على البئر وحيداً متألمًا حيث لم يحضر الناس لشراء ماء البئر



المنوَّرة فى حالةٍ من الضِّيقِ والشِّدةِ لا تخْطرُ على بالِ إنسانٍ، وكانَ عثمانُ واحداً من أكبرِ التُّجارِ، وكانت التجارَةُ فى نظرِ المسْلمينَ رسالةً يقومُونَ بهَا لخيرِ المجتمعِ، وعملاً لازدهَارِ الأمَّةِ، ونفْعِ النَّاسِ، وجلبًا لمصالحِهمْ، لا يبْتَغِى التَّاجِرُ من تجارَتِه إلا وَجْهَ اللَّهِ وتَوفيرَ حاجةِ النَّاسِ، وحلَّ أزماتِهِمْ.
وهَا هِيَ ذِى إحْدَى الأزماتِ، والمسْلمونَ فِى المدينَةِ لا يجدُونَ القُوتَ، والأخبارُ تأتِى بأنَّ قافلةً قادِمَةٌ مِنَ الشَّامِ، فِيهَا ألفُ جملٍ تحملُ الأقْواتَ منْ كُلِّ نوعٍ، القمحِ والزيتِ والتمرِ والدقيق وكلِّ ما تشتهِى النَّفْسُ، والقَافلةُ كلُّهَا مِلْكٌ لعثْمانَ، دخلت المدينة فاهتزَّتْ لدخولِهَا، وأقْبَلَ التُّجَّارُ الصِّغَارُ، الَّذِينَ نسميهمْ تجَّارَ التجزئَةِ ليشْتَرُوا بضاعَةَ عثمانَ ليبيعُوهَا همْ بعدَ ذَلِكَ للنَّاسِ.

فماذَا فعلَ عثمانُ رضى اللَّهُ عنْه، فى ظنِّكُمْ؟

قالتْ إِيمانُ: لعلَّهُ باعَ البضَاعَةَ بدُونِ ربحٍ واكتفَى برأسِ المالِ، أو لعلَّهُ رَضِىَ بِربحٍ قليلٍ إكرامًا للمسْلمينَ فى الشدَّةِ الَّتِى يُعانُونَهَا.

قَالَ الوَالِدُ: لا هَذَا ولا ذَاكَ.. ولكنْ جاءَ التجارُ، وفعلُوا ما يفعلُ النَّاسُ فِى المزادِ العلنىِّ، ويقدِّمُونَ لعثمانَ رضى اللَّهُ عنْهُ الثمنَ الَّذى يطلُبُهُ، وهُو منْ جانِبِه يرفَعُ الثمنَ حتَّى رضِىَ التُّجَارُ أنْ يشْتَرُوا منه بضاعَتَهُ بعشْرةِ أمْثَالِ ثمنِهَا الأصْلِىِّ.. فقال لهمْ عثمانُ رضى الله عنه، لقدْ بعتُها فعلاً بعشْرةِ أمْثَالِ ثمنِهَا، وبمَا هُوَ أكْثرُ، فَقَالُوا لَهُ: مَن الذى اشْترَى

بضَاعَتَكَ وليْسَ فى المدينةِ غَيْرُنَا؟ فقالَ رَضِىَ اللَّهُ عنه: ألمْ تقرءُوا قولَ اللَّهِ تعالَى: ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...** (١٦٠) ﴾ [الأنعام] لقدْ بعتُها للَّهِ، وأنَا أُشْهِدُكُمْ أَيُّهَا التُّجَّارُ أنَّ ما تحمِلُهُ الألفُ راحلةٍ (يعْنِى الألفَ جملٍ) من بُرٍّ وطعامٍ هو صدقَةٌ منِّى عَلَى فقراءِ المدينَةِ والْمُسْلِمينَ، ابْتغَاءَ وجْهِ اللَّهِ لا أُرِيدُ من أحدٍ جزَاءً ولا شُكُوراً، لأنِّى أعْتَقِدُ أنَّ ما عندَكُمْ ينفَدُ ومَا عندَ اللَّهِ باقٍ.

قالتْ إِيمانُ: حَقٌّ.. هَذَا هُوَ مثلُ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يُطعمُونَ الطعَامَ علَى حُبه مسْكِينًا ويتيمًا وأسِيرًا. ويُؤثِرُونَ عَلَى أنْفُسِهِمْ ولوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

قَالَ الوَالِدُ: هَكَذَا كَانَ عثمانُ، وهكذَا أعطَى عثمانُ فى جيشِ العُسرةِ عطاءً جعلَ النبىَّ ﷺ يقولُ: ما ضرَّ عثمانَ ما صنعَ بعدَ اليوْمِ.

قَالَ أيمنُ: لقدْ كانَ جيشُ العسْرة هَذَا اختباراً لإِيمانِ النَّاسِ أىَّ اخْتبارٍ، فضح اللَّهُ فِيه المنافقينَ ووفَّقَ القَادِرِينَ على أن يبذُلُوا فى سبيلِ اللَّهِ ما يمهِّدُ لهمُ الطريقَ إِلى الجنَّةِ.

قَالَ الوَالِدُ: لقدْ كانَتْ هناكَ طَائِفَةٌ أُخْرَى منَ المؤْمنينَ الصَّادِقِينَ الَّذين يرْغَبُونَ فِى الجِهَادِ فِى سبيلِ اللَّهِ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولكنَّهُمْ عجزُوا عَنْ توفيرِ نفَقَةِ الجِهَادِ من إِبلٍ تحملهُمْ أو زادٍ يكفيهِمْ، ويبدُو أنَّ النَّبىَّ ﷺ قدْ وضَعَ الأمْوَالَ والإِبلَ فى مواضِعِهَا أوْ وزَّعَهَا علَى الفُرسَانِ، ولمْ يبقَ

عندَه شيءٌ، وجاءَ إِليْه سَبَعَةٌ يطلبُونَ منْه أنْ يحملَهُمْ معَهُ إِلَى الغزْوِ، فقالَ لهمْ عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: لا أجدُ ما أحملُكُمْ عليْه، فتولَّوْا وأعينُهُمْ تفيضُ منَ الدَّمْع، يبكُونَ لأنَّهُمْ لمْ يجدُوا ما ينْفقُونَ، ولمْ يتَبَقَّ معَ النبيِّ ﷺ ما يسْمَحُ بحمْلهِمْ، فسمَّتْهُمْ كتبُ السِّيرة «البكَّاءُونَ» ونزلَ بشأنِهمْ قولُ اللَّه تعالَى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢)** ﴾ [التوبة] لقدْ رجعَ هؤلاءِ السبعةُ يبكُونَ أشدَّ البكاءِ، وينظرُ النَّاسُ إِليْهِمْ وهمْ راجعُونَ منْ عندِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فيتعَجَّبُونَ منْ أمرهِمْ ويسألونَهُمْ: لماذَا تبكُونَ؟ فيقُولُونَ: ذهبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُريدُ الجهَادَ مَعَهُ، وليسَ لَنَا ما يحملُنَا، ولمْ نجدْ عندَ رَسُولِ اللَّهِ ما يحملُنَا إِذْ قالَ لَنَا: لا أجدُ ما أحملكُمْ عليْه. فاقعُدُوا معَ القاعِدينَ، إِنَّ الحرَّ شَديدٌ، والسفَرَ بعيدٌ، ولا قدرةَ لكمْ، واللَّهُ سبحانَهُ وتعالَى قد عَذَركمْ وأنزلَ قرآنًا بأنَّهُ ليسَ علَى أمثالِكُمْ حَرَجٌ.

يقولُ البكاءُونَ لكنَّا واللَّهِ نكرَهُ أنْ تفوتَنَا هذِهِ الغزوةُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

* * *

(٣)

قَالَ أيمَنُ: لقدْ تمَّ جيشُ المسلمِينَ، ولمْ تعدْ هناكَ عُسْرَةٌ، ألمْ يحنِ الوَقتُ ليتحركَ مِنَ المدينَةِ إلَى وجهتِهِ الَّتِى عَزَمَ النبىُّ ﷺ عليْهَا؟

قَالَ الوَالِدُ: لقدْ تمَّ الإعْدادُ، وتحرَّكَ الجيشُ، فارتَجَّتِ الأرْضُ بمنْ عليْها ومَا عليْها، وردَّدَتِ الأرْجَاءُ صيْحاتِ المسْلمِينَ بالتهليلِ والتكْبِيرِ منْ أعماقِ القلُوبِ، وها هُو ذَا النبىُّ ﷺ يسلِّم قياداتِ الفرقِ لبعضِ الفرْسَانِ والقادَةِ، هَذَا أبو بكرٍ يحملُ اللواءَ الأعظمَ، والزبيرُ يحملُ الرايةَ العظْمَى، وأسَيْد بنُ حضيرٍ معَه رايةُ الأوسِ، والحُبابُ بنُ المنذرِ مَعَهُ راية الخزْرَجِ، ولكلِّ قبيلَةٍ منَ العَرَبِ رايةٌ أو لواءٌ، ولكلِّ طائفَةٍ منَ الأنْصَارِ رايةٌ أو لِواءٌ.

قَالَ أيمَنُ: ولكنْ، أينَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ، إنَّهُ الفارِسُ الَّذى لا يلحقُه الفرْسَانُ، وابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ الَّذى افْتداهُ ليلَةَ الهجرةِ، وأرسلهُ يتلُو علَى النَّاسِ سورَةَ التَّوْبَةِ فى الحجِّ، بعدَ هذهِ الغزْوَةِ بأشْهرٍ، وقال النبىُّ لا يبلِّغ عنِّى إلا واحدٌ منْ أهلِ بيْتِى.

قَالَ الوَالدُ: لكلِّ هذه الأشياءِ لم يكنْ علىُّ بنُ أبى طالبٍ فِى الجَيْشِ. فقد كَانَ من عادَةِ النبىِّ ﷺ إذَا خرجَ لحربٍ أو سفرٍ أنْ يَتْرُكَ فِى المدينَةِ واحداً يستعملُه عليْهَا، تكونُ وظيفَتُه كوظيفةِ المحافظِ فِى زَمَننَا هذَا، وقد تركَ لهذِهِ المهمَّةِ واحداً اسمُهُ سُباعُ بنُ عُرفُطةَ، أمَّا علىُّ بنُ أبى طالبٍ فقدْ خلَّفَهُ النَّبِىُّ ﷺ علَى أهْلِهِ، وأمَرَهُ بالإقَامَةِ فيهِمْ ورِعَايَةِ شُئونِهِمْ، وخطرَ

علَى بالِ النَّاسِ ذلكَ السؤَالُ الَّذى سألَهُ أيمَنُ: أينَ علىٌّ بنُ أبِى طالِبٍ؟

وكانَتْ فرصَةٌ للمنَافقِينَ ليصْطَادُوا فِى الماءِ العكرِ كما يُقالُ. فَقَالُوا: إِنَّ رسول اللَّه ﷺ ما تركَ عليًا فِى المدينة إلا استثْقالاً لهُ، وتخفُّفًا منْه. وسمِعَ علىٌّ ذَلكَ فأخَذَ سلاحَهُ، وخَرَجَ حتَّى أتَى رسولَ اللَّهِ وهُوَ نازلٌ فِى مَوضعٍ قريبٍ من المدينَة يُقَالُ لَهُ الجرْفُ، فقالَ علىٌّ: يا نَبِىَّ اللَّهِ، زَعمَ المنافقُونَ أنَّك اسْتَثْقَلْتَنِى، وتخفَّفْتَ منِّى!! فقالَ النَّبىُّ ﷺ: كَذَبُوا، ولكنِّى خلَّفتُكَ لِمَا تركتُ وَرَائِى، فارجعْ فاخْلفْنِى فِى أهْلِى وأهْلِكَ، أفَلا تَرْضَى أنْ تكونَ مِنِّى بمنزلَةِ هَارونَ مِنْ مُوسَى إلا أنَّهُ لا نَبِىَّ بَعْدِى.

فرجعَ علىٌّ إِلَى المدينةِ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى سفرِهِ.

ومرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحِجْر، وهِىَ الأرضُ الَّتِى كانَ يعيشُ فيها ثمودُ الَّذِينَ أرسلَ اللَّهُ إِليْهِمْ نبيَّه صالحًا عليْه السَّلامُ، وقدْ ذكرنَا قصَّتَهُ، من قَبل وكيفَ كانَ قومُهُ ظالمينَ، فغطَّى النبىُّ وجْهَهُ بثوبِه، وحَثَّ النَّاسَ علَى السُّرعةِ فِى السَّيْرِ، وقالَ: لا تدْخُلُوا بيوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إلا وأنْتُم باكُونَ، خَوْفًا أنْ يُصِيبَكُمْ مثلَ ما أصابَهُمْ. ولكن بعضُهُمْ نزلَ بهذِهِ الأرْضِ، واستقَى النَّاسُ من بئرِهَا، فَلمَّا رَاحُوا قالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لا تشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلا تَتَوَضَّأوا منْهُ للصَّلاةِ. وما كانَ من عَجِينٍ عجنتُموه فأعلفُوه الإِبلَ، ولا تأكلُوا منْه شيئًا، ولا يخرجَنَّ أحدٌ منكمْ الليْلَةَ إلا ومَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ.

وأصبحَ النَّاسُ وليسَ معهمْ ماءٌ، فشكَوْا ذلكَ إلَى رسُول اللَّه ﷺ، فدعَا اللَّهَ فأرسلَ اللَّهُ سحابةً فأمطرتْ حتَّى ارتَوَى النَّاسُ، وحملُوا حاجَتَهُمْ منَ المَاءِ. يقولُ الرواةُ أنَّهُ بعدَ أن ارتحلَ المسْلمُونَ من مكانِهِمْ نظَرُوا فلمْ يجدُوا هذهِ السحابَةَ أمطرتْ إلا فوقَ معسْكرِهِمْ فَقَطْ.

وتابعَ الوالدُ قولَهُ: إنَّ حكايةَ هذه الغزوةِ تحملُ الكثيرَ من المواعظ وبينها حكاياتٌ أخرَى عن المنافقينَ أيْضًا، وعنِ المؤمنينَ الَّذينَ تخلَّفُوا عنْ رَسُول اللَّه ﷺ سواءٌ منهمْ من كانَ بعذْرٍ أوْ بغيرِ عُذْر، وسوْف يكُونُ لنَا جلسَةٌ قادمَةٌ نتكلَّمُ فيهَا عنْ كُلِّ ذَلكَ.

لقد سَارَ رَسُول اللَّه ﷺ بجنوده، وزحَفَ ذَلكَ الجيشُ مستعدًّا للتضْحيَة والفدَاءِ، ولمْ يكنْ الرُّومُ ينْتظِرُونَ أنْ يستجيبَ هَذَا العددُ الضخمُ منَ المسلمينَ، للَّحاق بالجيشٍ فى فترة الحصَاد وزَمَنِ الحرِّ القَاسى، ولذلكَ راعَهمْ أنْ يقدُمَ لهمْ هذَا الجيشُ الكبيرُ يقودُه أبطالٌ لا يعرفُون الانهزامَ، ولذلِكَ تقهْقَرَ جيشُ الرومِ ليتخذَ مكانَهُ داخلَ بلاده مدافعًا عنْهَا بعْدَ أنْ كانَ يستعدُّ للهجُومِ، ولمْ يرد رسولُ اللَّه ﷺ أنْ يشتبكَ معَ العدُوِّ بعدَ أنْ تقهقرَ إلَى داخلِ بلاده، وعسكرَ جيشُ المسْلمينَ عندَ تبوكَ حيثُ أرْهَبَ الأعْداءَ، وعقدَ رسول اللَّه ﷺ بعضَ المعاهدَات معَ سكَّان الحُدود بينَ الجزيرةِ العربيَّة والشَّامِ، وكانَتْ غزوةُ تبوكَ هِى آخرَ غزوات رسول اللَّه ﷺ، عادَ منْهَا رسول اللَّه ﷺ، بلا حربٍ ولا قتال، وهذا هُو معْنَى قول اللَّه تعالَى فى الآية الكريمة أنَّ اللَّهَ تَابَ علَى النبىِّ والَّذين اتَّبعُوهُ فِى سَاعَة العُسْرَة، إذْ عَادُوا دُونَ حَرْبٍ، وعفَا اللَّهُ عنْهُمْ فلمْ يلتحمُوا مَعَ الأعْدَاءِ فِى قتَالٍ، ولمْ تحدُثْ معركَةٌ وكانَ هذَا فَضْلاً منَ اللَّهِ عظيمًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ
(١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ .

الأسئلة

١- فى غزوة تبوك قال الله تعالى : ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ فكيف تابَ اللَّهُ عليهم؟

٢- ظهرت صورٌ كثيرةٌ من النفاق ومراوغات المنافقين فى هذه الغزوة. . اذكر ما عرفتَهُ من هذه الصور وأنت تقرأ هذه القصة.

٣- اشتهر عثمانُ بنُ عفانَ رضى الله عنه بالكرم والإيثار والإنفاق فى سبيل الله حتى قال النبى ﷺ : ما ضرَّ عثمانَ ما صَنَعَ بعدَ اليومِ. . اذكر مآثر عثمان رضى الله عنه.

٤- لم يكن عثمان وحده هو الذى تبرع بالمال الكثير فى جيش العسرة، ولكن كان هناك آخرون، اذكر بعضهم، وبماذا تبرع.

٥- قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ما استبقت أنا وأبو بكر فى خيرٍ إلا سبقنى إليه أبو بكر. . لماذا قال عمر ذلك؟

٦- اتخذ النبى ﷺ أسلوبَ «الهجومُ خير وسيلَةٍ للدفاع» فماذا كانت نتيجةُ هذا الأسلوب فى تلك الغزوة؟

درس النحو

المعرَباتُ بالحروفِ

النوعُ الثانى من المعرَباتِ هو ما يُعربُ بالحروفِ نيابةً عن الحركات، وهو أربعة أنواع:

١- الاسمُ المثنى أى الذى يدل على اثنين، مثل: المسلمَان، الكاتِبَان، القارئَانِ، المسافِرانِ، الساهِرَانِ، النائِمَان، الآكلانِ، أو يدل على اثنتين أى مؤنثتين مثل: الطالبتان . . . إلخ.

٢- جمع المذكر السالم، مثل: المسلمُونَ، الكاتبُونَ، القارئُونَ، المسافرُونَ، الساهرُونَ، النائمُونَ، الآكلُونَ، الشاربُونَ.

٣- الأسماءُ الخمسة: وهى خمسة أسماء ذكرها النحويون بصيغة محددة هى كلمة: أبٌ، وأخٌ، وحَمُو، وَفُو، وَذُو، إِذَا أضيفت إلى ضمير بعدها فقلنا: أبُوكَ، أخُوكَ، حَمُوكَ، فُوكَ، ذُو جاهٍ.

٤- الأفعالُ الخمسة، وقد سبق الحديث عنها فى درس الجزْم بحذف الحرف وهى: يفعَلانِ، وتفْعلانِ، ويَفْعلونَ، وتَفعَلُونَ، وتفعَلِينَ.

وكل قسمٍ من هذه الأقسام سيأتى شرْحُهُ مفصَّلاً فى الدروس القادمة إن شاء الله.

وإلى اللقاء يا أبنائى فى القصة التالية (٥٣) وعنوانها:

(الثلاثة الذين خُلِّفُوا)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بني إسرائيل
٤- بقرة بني إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا في سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى في السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوي الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بني إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون في المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون في ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.
٥٧- يا بني اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام في غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التي نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذي أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر في الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر في الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر في الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادي المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام في بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوي الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- لليت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث